

عطف التسوية في القرآن الكريم

بين «أم» و «أو»

التسوية معني قريب من معني : «مهما يكن» . فثمة حكم لاسبيل إلي تغييره سواء وقع حدث ما أوضده وقد يأتي التعبير عن هذا الحكم في صورة الخبر أو الأمر أو النهي . وللوصول إلي عطف التسوية طريقتان :

الأولي : أن يذكر لفظ التسوية ثم تأتي الهمزة داخله علي أحد الخيارين ثم تتبعها «أم» داخله علي الخيار الثاني المضاد لما سبقه علي حين يكون الحكم قد سبق أو يلحق التسوية بعد إستيفاء التعبير عنها . أما الطريقة الأخرى للتسوية فتأتي بتوسط «أو» بين الخيارين المتضادين مع سبق الحكم أو إلحاقه أو تكراره مصاحبا للخيارين كليهما . أما وسيلة إظهار التضاد بين الخيارين فإما أن تكون نحوية بواسطة الإثبات والنفي وإما أن تكون معجمية بواسطة اللفظ وضده وسنري فيما يلي صور عطف التسوية في آيات القرآن الكريم .

أولا : التسوية بلفظ سواء والهمزة وأم :

١ - بالنفي النحوي : قال تعالى :

«أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» (البقرة ٦) والحكم : «لا يؤمنون» .

«سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين» (الشعراء ١٣٦)

والحكم : «إن هذا إلا خلق الأولين» .

«سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم» (المنافقون ٦) .

الحكم «لن يغفر الله لهم»

٢ - بالنفي المعجمي : قال تعالى :

«سواء علينا أجزعنا أم صبرنا» (ابراهيم ٢١) الحكم : «مالنا من

محيص»

«سواء عليكم أذعوتموهم أم أنتم صامتون» (الأعراف ١٥٣) الحكم :
«لا يتبعوكم».

والحكم في هذه الآية الأخيرة سابق علي التسوية لأن نص الآية هو :
«وَأَنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ»
(الأعراف ١٩٣).

وقد تحل واو العطف محل «أم» بعد لفظ التسوية كما في قوله تعالى :
«سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل
وسارب بالنهار» والحكم أن الله سبحانه . «عالم الغيب والشهادة الكبير
المتعال» وهو سابق علي التسوية أيضا . والتضاد في هذه الآية معجمي
لانحوي ذلك للتقابل بين الإسرار والجهر وبين الاستخفاء والظهور .
ثانياً : بلفظ أو :

هنا أيضاً قد يعبر عن التضاد بالنفي النحوي كما في قوله تعالى :
«استغفر لهم أو لا تستغفر لهم» والحكم : «إن تستغفر لهم سبعين
فلن يغفر الله لهم».

وقد يكون التضاد بتقابل المعني المعجمي كما في قوله جل شأنه :
«مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا» (البقرة ١٠٦) والجواب : «نأت بخير منها أو
مثلاً».

« وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ » (البقرة ٢٨٤) والجواب :
«يحاسبكم به الله».

«إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبَدُّوهُ» (آل عمران ٢٩) الجواب : «يعلمه
الله».

«إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ» (الأحزاب ٥٤) الجواب «فإن الله كان بكل
شيء عليماً».

« وَلَئِن مَّتَّمْ أَوْ قَتَلْتُمْ » (آل عمران ١٥٨) والجواب « إلهي الله تحشرون ». « ن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا » (النساء ١٣٥) والجواب « فإله أولي بهما ». « إِمَامًا يَلْفَنُ عِنْدَكَ الْكَبِيرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا » (الإسراء ٢٣) .

الجواب « فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ».

« قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ » (الإسراء ١١٠) .

الجواب « أيما تدعوا فله الأسماء الحسني ».

« إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً » (الأحزاب ١٧) .

ودليل الجواب « فمن يملك لكم من الله شيئا ».

« وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ » (الملك ١٣) والجواب « إنه عليم بذات الصدور ».

وقد يكتنف الجواب جملة التسوية فتكون الجملة معترضة بين جزئي

الجواب كما في قوله تعالى :

« إِذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » (ص ٣٩) فالمعني: هذا عطاؤنا

بغير حساب فامنن أو أمسك . وقد يتكرر الجواب فيأتي بعد كل من المتضادين كما في قوله تعالى :

« إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ » (الأعراف ١٧٦) أي أنه يلهث في

الحالين والتقدير : « إن تحمل عليه أو تتركه يلهث ».

حذف أحد الخيارين ودليل حذفه :

قد تحذف الهمزة ومدخولها قبل « أم » فإذا ذكر الحكم سابقا أو لاحقا

عُدَّ دليلا علي المحذوف وقدر المحذوف في ضوء هذا الحكم ونسبت « أم » إلي عطف التسوية . أما إذا لم يذكر الحكم فأقرب ما تدل عليه « أم » هو معني

الإضراب وفيما يلي بيان لكل من الأمرين :

«أم» للتسوية :

١ - «أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل» (البقرة ١٠٨).

سبق ذلك قوله تعالى : «ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير» (البقرة ١٠٦) فالإلتفات من المخاطب المفرد إلي المخاطبين دليل علي إرادة خطاب الجماعة منذ البداية . فإذا كان الأمر متصلا باعتراض المشركين علي نسخ الآيات أو مطالبتهم بما لا يقع في طاقة النبي صلي الله عليه وسلم فإن المعنى يكون : أتؤمنون بأن الله هو القادر أم تريدون أن تسألوا رسولكم بما لا يقدر عليه كما سئل موسى من قبل والحكم هو قوله تعالى : «ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل» (البقرة ١٠٧).

٢ - «أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي...» (البقرة ١٢٣).

سبق ذلك قوله تعالى : «ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب» (البقرة ١٢٢) فالمعنى أتؤمنون بوقوع هذه الوصية «أم كنتم شهداء» فتتكرون وقوعها .
٣ - «أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى» (البقرة ١٤٠) .

سبق ذلك قوله تعالى : «قل أتحاجوننا في الله» (البقرة ١٣٩) فهمزة التسوية موجودة هنا فلا داعي لتصيد الخيار الآخر.

والحكم سابق علي ذلك في قوله تعالى : «ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه» (البقرة ١٣٠).

٤ - «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم» (البقرة ٢١٤) .

سبق ذلك قوله تعالى «كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين

وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ « (البقرة ٢١٣) والمعني والله أعلم « أَتَكْفُونَ عَنِ الْخِلَافِ حَوْلَ الْكِتَابِ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمْ يَقَعْ بِكُمْ مَا وَقَعَ لِلْأُمَّمِ السَّابِقَةِ الَّتِي اخْتَلَفَتْ .
والحكم هو : « تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ » (البقرة ١٣٤).

٥ - « أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ » (آل عمران ١٤٢).

سبق ذلك قوله تعالى : « إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ » (آل عمران ١٤٠) فالعني هو : أترضون هذا البلاء أم حسبتم أن تدخلوا الجنة دون بلاء .

والحكم هو : وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُرَكَاءَ ... وَلِيَمْحَسِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (آل عمران ١٣٩ - ١٤١).

٦ - « أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ » (النساء ٥٣ - ٥٤) .

سبق ذلك قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا » (النساء ٥١) . فالعني : أهم أهل لهذا الحكم بالباطل أم لهم نصيب من ملك الله أم يحسدون الناس؟

والحكم : « أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ » (النساء ٥٢).

٧ - « أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ » (التوبة ١٦) .

سبق ذلك قوله تعالى : « قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ » (التوبة ١٤ - ١٥)

فالمعني : أترون أنكم مكلفون بالقتال أم حسبتم أن تتركوا ...

والحكم : «وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (التوبة ١٦).

٨ - «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا» (الكهف

. (٩)

سبق ذلك قوله تعالى : «وَأِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا» (الكهف ٨)

فالمعني: أهذا أدلّ علي القدرة وإثارة العجب أم حسبت أن أصحاب الكهف هم العجب .

والحكم : «وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ» (الكهف

. (٢٣ - ٢٤).

٩ - «أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ» (الأنبياء

. (٤٣)

سبق ذلك قوله تعالى : «قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ»

(الأنبياء ٤٢) والمعني : أيجدون من خلقه من يكلؤهم أم لهم آلهة تمنعهم .

والحكم : «بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ» (الأنبياء ٤٠).

١٠ - «أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ» (الروم

. (٣٥)

سبق ذلك قوله تعالى : «وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا

أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ» (الروم ٢٣) فالمعني أن يكفرون بلا برهان أم أنزلنا عليهم سلطانا .

والحكم في صورة وعيد : «لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ

تَعْلَمُونَ» (الروم ٢٤).

في كل هذه الآيات أعاننا الحكم علي تقدير الخيار المقترن بالهمزة

وهو الذي يعدّ مبرراً لاعتبار «أم» علي معني التسوية . أما إذا لم يذكر الحكم فإن أم تكون للإضراب وبخاصة إذا دل السياق علي عدم وجود هذا

الخيار الآخر كما يتضح من سياق الآيات الكريمة التالية

١ - «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» (الأنبياء ٢٤) أي بل اتخذوا .

المعروف أنهم اتخذوا الآلهة وليس هناك احتمال آخر ويعزز ذلك المطالبة بالبرهان .

٢ - «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» (العنكبوت ٤) أي بل حسبوا .

بدليل قوله تعالى : «سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» مما يدل علي وقوع هذا الحكم منهم فلا يوجد خيار آخر .

٣ - «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ» (الزمر ٤٣) .

الدليل علي وقوع ذلك منهم قوتهم «هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» (يونس ١٨) فالمعني بل اتخذوا .

٤ - «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» (الشورى ٢٤) أي بل يقولون .

يحكي القرآن في أكثر من موضع أنهم قالوا ذلك .

٥ - «أَمْ أَنْ خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ» (الزخرف ٥٢) أي بل أنا خير .

المعروف أن فرعون قال ذلك أو من شأنه أن يقوله فلا مكان لخيار آخر .

٦ - «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً» (الجماثية ٢١) أي بل حسبوا ولو لم يحسبوا ما عملوا السيئات وأقاموا علي فعلها .

٧ - «أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ» (الملك ٢٠) أي بل من هذا ؟! فلا ينصر من دون الرحمن ناصر .

٨ - « أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ » (الملك ٢١) أي بل من هذا؟! فالرزق من عند الله ولا رازق إلا هو .

وفي كل ذلك قام الدليل إما من السياق أو من تفسير آية أخرى علي أن «أم» منقطعة بمعنى «بل» أي مفيدة للإضراب .